DIYĀ' AL-AFKĀR
JURNAL STUDI AL-QUR'AN DAN AL-HADIS
VOLUME 9, NOMOR 01, JUNI 2021: 1-24
ISSN 2303-0453 | E-ISSN 2442-987
http://www.syekhnurjati.ac.id/jurnal/index.php/diya/index

الحركة الموضعية في الخطاب القرآني وأثرها في الدلالة "دراسة بلاغية تحليلية"

Abdelrahman Moawad Ali
Sultan Abdul Halim Mu'adzam Shah International Islamic University, Malaysia
Email: abdelrahman@unishams.edu.my

Ragab Ibrahim Ahmed Awad
Sultan Abdul Halim Mu'adzam Shah International Islamic University, Malaysia
Email: drragabibrahim@unishams.edu.my

Elsayed Mohamed Salem Alawadi
Universiti Sultan Zainal Abidin, Malaysia
Email: sayedsalim@unisza.edu.my

Abstract

There is no doubt that observing the compositional properties of the formulation of the Qur'anic discourse helps to reach the significance. I do not mean by significance here the first product of the formulation Because this result is often achieved at any compositional level, the wording in it came in the familiar pattern, but I mean the second product, or what Abdel-Qaher Al-Jarjani called (the meanings of seconds) that does not emerge into the realm of mental perception except when the wording is colored with expressive capabilities, synthetic movements, and from It is certain that (the maqam) represents the basis of significance, and lacking it leads to the emergence of dispersed vocabulary that is not governed by some relationship Because it is not related to a denominator that links its elements, and therefore any analytical process of the formulation will not be feasible. Because it is necessary to visualize the maqam with this analysis, and with the perception of this maqam, the formulation takes distinct forms in its compositional movement, as it extends in different directions, some of which go in length, some of which go in width, and some of them take a local depth, which is what I prefer to call here the local movement. There is no doubt that tracking the impact of these movements helps to understand the significance of the Qur'anic discourse. Hence this study tagged: "The local movement in the Qur'anic discourse and its impact on

significance, an analytical rhetorical study."After the introduction, this research was divided into two topics that are followed by a conclusion, as follows: The first topic: It is titled "Characteristics of the Qur'anic Discourse" and begins with an overview of the meaning and types of discourse, and then presents the general characteristics and characteristics of the discourse style in the Holy Qur'an. The second topic: It is entitled "Local Movement". I tried in this section to monitor the primary relationship between positional movement, and the Qur'anic discourse and the significance of this relationship. Conclusion: It includes the most important results of this research. At the end of the research, a list of the sources and references that I relied on in this research was established.

Keywords: *Khiṭāb al-Qur'ān, Balāghah al-Qur'ān*

الملخص

لا شك أن رصد الخواص التركيبة لصياغة الخطاب القرآني يساعد على الوصول إلى الدلالة، ولا أعني بالدلالة هنا الناتج الأول من الصياغة؛ لأن هذا الناتج يتحقق غالباً في أي مستوى تركيبي، جاءت الصياغة فيه على النمط المألوف، وإنما أعني الناتج الثاني، أو ما أطلق عليه عبد القاهر الجرجاني (المعاني الثواني) التي لا تبرز إلى حيز الإدراك العقلي إلا عندما تتلون الصياغة بإمكانات تعبيرية، وتحركات تركيبية، ومن المؤكد أن (المقام) يمثل أساس الدلالة، وافتقاده يؤدي إلى ورود مفردات متناثرة لا تحكمها علاقة ما؛ لأنها لم ترتبط بمقام يربط بين عناصرها، وعلى هذا فإن أية عملية تحليلية للصياغة لن تكون مُجدِية؛ لأنه من الضروري تصور المقام بهذا التحليل، ومع تصور هذا المقام تأخذ الصياغة أشكالاً متمايزة في حركتها التركيبية، حيث تمتد في اتجاهات مختلفة منها ما يذهب طولا، ومنها ما يذهب عرضا ومنها ما يأخذ عمقا موضعياً، وهو ما آثرت تسميته هنا بالحركة الموضعية. ولا شك أن تتبع أثر تلك الحركات يعين على فهم دلالة الخطاب القرآني. من هنا جاءت هذه الدراسة الموسومة: "الحركة الموضعية في الخطاب القرآني وأثرها في الدلالة، دراسة بلاغية تحليلية". وقد قسمت هذا البحث بعد المقدمة إلى مبحثين تتلوهما خاتمة، وذلك على النحو

التالي: المبحث الأول: وهو بعنوان "خصائص الخطاب القرآني" ويُستهل بإطلالة حول معنى الخطاب وأنواعه، ثم عرض لما تميز به أسلوب الخطاب في القرآن الكريم من سمات وخصائص عامة. المبحث الثاني: وهو بعنوان " الحركة الموضعية" وقد حاولت في هذا المبحث رصد العلاقة المبتدية بين الحركة الموضعية، والخطاب القرآني ومعزى هذه العلاقة. الخاتمة: وتضم أهم ما توصل إليه هذا البحث من نتائج . وقد أثبتُّ فى نهاية البحث قائمة بالمصادر والمراجع التى اعتمدت عليها في هذا البحث.

الكلمة الأساسية: خطاب القران ,بلاغة في القران

خلفية البحث

إنَّ من أخصِّ خصائص النصِّ القرآني أنَّه نصٌّ متعدّد الدلالات ، وتجليات هذا التعدُّد واضحة من خلال كثرة التأويلات التي حفظتها كتب التفسير المبكِّرة،ولا يعود الثراء الدلالي للخطاب القرآني إلى طبيعة نصِّه الفريدة من نوعها فحسب، بل كذلك إلى اختلاف مناهج مفسّري هذا الخطاب. وقد برز هذا الخلاف إلى السطح منذ عهد مبكّر في التاريخ الإسلامي، فقد آثر فريق من المسلمين الالتزام في فهم النص القرآني بالقراءة الحرفيَّة والظاهريَّة، في حين ذهب فريق آخر منهم إلى قراءة النص في تفاعله مع الواقع التاريخي انطلاقاً من أنَّ مقاصد الشريعة تكون دائما في خدمة الإنسان ومصلحته.والمتتبع لآيات القرآن يجد أن الدلالة البلاغية تشكل ملمحا مهما في فهم مراد النص القرآني ومقاصده ؛من هنا كان اختياري لهذا الموضوع :"الحركة الموضعية في الخطاب القرآني وأثرها في الدلالة،دراسة بلاغية تحليلية".

لا شك أن رصد الخواص التركيبية لصياغة الخطاب القرآني يساعد على الوصول إلى الدلالة ، ولا أعني بالدلالة هنا الناتج الأول من الصياغة ؛ لأن هذا الناتج يتحقق غالباً في أي مستوى تركيبي ، جاءت الصياغة فيه على النمط المألوف، وإنما أعني الناتج الثاني ، أو ما أطلق عليه عبدالقاهر الجرجاني (المعاني الثواني) التي لا تبرز إلى حيز الإدراك العقلي إلا عندما تتلون الصياغة بإمكانات تعبيرية ، وتحركات تركيبية ، ومن المؤكد أن (المقام) يمثل أساس الدلالة ، وافتقاده يؤدي إلى ورود مفردات متناثرة لا تحكمها علاقة ما ؛ لأنها لم ترتبط بمقام يربط بين عناصرها ، وعلى هذا فإن أي عملية تحليلية للصياغة لن تكون مُجدِية ؛ لأنه من

الضروري تصور المقام بهذا التحليل ، ومع تصور هذا المقام تأخذ الصياغة أشكالاً متمايزة في حركتها التركيبية ، حيث تمتد في اتجاهات مختلفة منها ما يذهب طولا ، ومنها ما يذهب عرضا ومنها ما يأخذ عمقا موضعياً، وهو ما آثرت تسميته هنا بالحركة الموضعية . ولا شك أن تتبع أثر تللك الحركات يعين على فهم دلالة الخطاب القرآني.

وقد قسمت هذا البحث بعد المقدمة إلى مبحثين تتلوهما خاتمة ، وذلك على النحو التالي : المبحث الأول: وهو بعنوان " خصائص الخطاب القرآني " ويُستهل بإطلالة حول معنى الخطاب وأنواعه ، ثم عرضت لما تميز به أسلوب الخطاب في القرآن الكريم من سمات وخصائص عامة. المبحث الثاني : وهو بعنوان " الحركة الموضعية" وقد حاولت في هذا المبحث رصد العلاقة المبتدية بين الحركة الموضعية والخطاب القرآني ومعزى هذه العلاقة. لخاتمة: وتضم أهم ما توصل إليه هذا البحث من نتائج. وقد أثبتُّ فى نهاية البحث قائمة بالمصادر والمراجع التى اعتمدت عليها في هذا البحث.

خصائص الخطاب القرآني

الخطاب في اللُّغة من الفعل الثُّلاثيّ خَطَبَ أي تكلّم وتحدّث للملأ أي لمجموعةٍ من النّاس عن أمرٍ ما، أو ألقى كلاماً.[1] أمّا تعريف الخِطاب اصطلاحًا فهنالك الكثير من التعريفات المتعارف عليها للدّلالة على الخطاب ومنها أنّ الخطاب مَجموعةٌ مُتناسقة من الجمل، أو النصوص والأقوال، أو إنّ الخطاب هو منهج في البحث في المواد المشكّلة من عناصر متميّزة ومترابطة سواء أكانت لغة أم شيئا شبيهاً باللغة، ومشتمل على أكثر من جملة أولية، أو أيّ منطوق أو فعل كلامي يفترض وجود راوٍ ومستمع وفي نية الراوي التأثير على المتلقي، أو نص محكوم بوحدة كلية واضحة يتألف من صيغ تعبيرية متوالية تصدر عن متحدث فرد يبلغ رسالة ما.[2]

والمقصود بالخطاب القرآني هو الخِطاب الموجود في القرآن الكريم بتنزيلٍ من العزيز الحكيم، وهو خطاب له مَدلولاته وإشاراته التي لا تنتهي، معصومٌ من التّحريف والتَّبديل، كما

(1) بلاغة الخطاب ، محمد فضل ، ص45

(2) تحليل الخطاب ، هبة عبدالمعز ، ص 32

أنّه لا يُترجم حرفيًّا إلى لُغاتٍ أخرى وإنّما تتمّ ترجمة معانيه ومدلولاته وشرح آياته ومفرداته، والخِطاب في القرآن الكريم على حسب الحاجة فهو تارّةً موجّه للرّسول صلى الله عليه وسلم أو لأزواجه أو لعامّة المسلمين وخاصّتهم أو لكفّار قريش أو للمنافقين وغيرهم، والخِطاب القرآنيّ أفضل الخِطابات على الإطلاق من حيث البلاغة اللُّغويّة والإعجاز اللُّغوي والإبداع في اللَّفظ والمعنى والتّركيب، وروده في القرآن الكريم مرتبطٌ بالعزة، والحكمة، وعظمة الخالق عز وجل.

تعتبر نصوص القرآن الكريم بدون منازع نصوصا ذات أبعاد تربوية وأخلاقية واجتماعية وسياسية واقتصادية وعلمية... فلم تكن أسس دعوته محصورة بالمعنى المتعارف عليه لدى الفقهاء، بل كانت أعم من ذلك، إذ هي تشمل إصلاح المجتمع إصلاحا شاملا، سواء في عقائده الدينية أو صلاته الاجتماعية، لذلك تناول في أسسه المقاصد الأربعة: العقائد، والواجبات الدينية، والأخلاق، والحقوق بجميع فروعها.[3]

وإذا كانت كذلك فلا يمكن اعتبارها ألفاظا تحمل دلالات لغوية فحسب، وإنما لها أبعاد نفسية، وأخرى فكرية... أعمق من ذلك وأجدر بالعناية والملاحظة والتتبع والبحث. ولذلك لا يمكن فهم هذا الخطاب القرآني واستنباط الأحكام منه إلا في ظل تكامل الإلمام بالأسرار اللغوية، والقيم الثقافية، والمفاهيم العلمية والفكرية، والممارسات الاجتماعية، والخبرات الإنسانية.

فهو خطاب يخاطب العقول ويناجي القلوب ويحمل مضامين تعرب عن مراد الله في توجيه حياة الناس. وتعتبر مناسبة لكل الظروف الطارئة والأزمنة المتلاحقة. يحتاج لمن يجدد حيويته ويثبت له ملاءمته للظروف الزمنية والمكانية المستجدة. لأنه غير مقيد بزمان أو مكان. وهذه الخاصية تتيح له مرونة لبذل الجهد وتحديد المقاصد من نصوص الوحي. وفوق هذا كله. فهو نص تشريعي مقدس يتضمن حكما ومعنى يستوجبه، أو مقصدا يستشرف إليه. فالحكم يتضمن معنى مرادا لصاحبه ينبغي الكشف عنه.

والمقصد يتضمن أمرا مرتبطا بذلك الحكم ينبغي أن يلحظ عند الفهم والتفسير. لهذا فإن التفسير الأمثل والأقرب إلى طبيعة هذا الخطاب إنما يتحقق بمنهج يتكامل فيه التفسير اللغوي مع التفسير المقاصدي.

([3]) المدخل إلى علم أصول الفقه، معروف الدوالبي، ص413

إن المضمون الدلالي للنصوص الشرعية يفهم عن طريق الخطاب الشرعي والمراد منه . فأوَّل ما يُفهم من الحديث عن مقاصد الشارع هو التعرُّف على معاني النصوص الصادرة من الشارع، سواء في القرآن الكريم أو السنة النبوية؛ لأن إدراك مقصود الشارع من خطابه هو مفتاح كل شيء في العلاقة القائمة بين الخالق والمخلوق، وفي التفاعل بين الوحي ومبلِّغه من جهة والمؤمنين بهذا الوحي من جهة أخرى. سواء كان ذلك المقصود أمرا جزئيا مستفادا بشكل مباشر من نص جزئي، أو كان حكما عاما مستفادا بطريق إجراء الخاص مجرى العام بناء على دليل يفيد ذلك، أو بطريق الاستقراء. وسواء كان المقصود المستفاد من النصوص متعلقا بشكل مباشر بتصرف المكلَّف إزاء هذا المقصود فعلا أو تركا أو تخييرا، أو كان متعلقا بالحِكَم والغايات التي شرع من أجلها حكم من الأحكام.

القرآن الكريم ينطوي على أرقى المقاصد وأكبرها وأعلى المصالح وأعظمها فهو أصل الأصول ومصدر المصادر وأساس النقول والعقول.

إن جميع المقاصد الشرعية المعتبرة والمعلومة والمقررة في الدراسات الشرعية إنما هي راجعة في جملتها أو تفصيلها,تصريحا أوتضمينا إلى هدي القرآن وتعاليمه وأسراره وتوجيهاته.

ويمكن النظر إلى مقاصدية القرآن الكريم عل جهة الإجمال من خلال ما يلي:

_ القرآن الكريم منه تستفاد مقاصد الشارع الحكيم من إرسال الرسل وتنزيل الكتب وبيان العقيدة والأحكام وتكليف المكلفين ومجازاتهم, وبعث الخلائق والحياة والكون و الوجود..فقد جاء أن المقصد من الخلق هو عبادة الخالق سبحانه والامتثال له, وقد دلت على هذا آيات كثيرة منها قوله تعالى:(وما خلقت الجن و الانس إلا ليعبدون) وقوله سبحانه:(أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لاترجعون)...

_ من القرآن الكريم ثبتت الكليات الشرعية الخمس:حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال, فقد وردت جملة من نصوصه وأحكامه لتثبيت تلك الكليات وتدعيمها,واعتبارها أصولا قطعية معتبرة في كل الملل والأمم.

_ من القرآن الكريم تحددت الكثير من الحكم والعلل والأسرار الجزئية, التي تعلقت بأحكامها الفرعية, والتي شكلت محتوى مهما أسهم في إبراز المقاصد وتكوينها.

_ من القرآن الكريم استخلصت واستقرت ودونت بعض القواعد الفقهية ذات الصلة بالمقاصد الشرعية, فقد كان المنشغلون بفن القواعد يرجعون كل قاعدة إلى أصلها من القرآن والسنة أو منهما معا, ومن القواعد المبنية على نصوص من القرآن قاعدة :"المشقة تجلب التيسير" وقاعدة: "الضرورات تبيح المحظورات" وقاعدة:"الضرورة تقدر بقدرها" وقاعدة:"العادة محكمة".

_ من القرآن الكريم استفيدت العديد من الخصائص العامة للشريعة الإسلامية المتصلة بالمقاصد الشرعية مثل خاصية التيسير والتخفيف ورفع الحرج والوسطية والاتزان والسماحة والرفق واللين والواقعية, وغير ذلك من الخصائص الكلية والسمات العامة التي تعاقب الباحثون والدارسون على طرقها وبيانها.

إن اهتمام المحلل الأسلوبي بدلالة الظواهر ليست ترفا ؛فبدونها يسئ المحلل للنص إساءة بالغة؛ إذ يحيله إلى أشتات متناثرة متنافرة ، لا تجدي شيئا بالنسبة للقارئ الذي يتوجه إليه المحلل بتحليله ، فالأنفع للقارئ _ إذا أعرض المحلل عن الدلالة _ أن يتصل بالنص نفسه معرضا _ هو الآخر _ عن هذا التحليل الأسلوبي .

وفيما يتعلق بالنص القرآني الكريم قد يكون السياق الجزئي _ الذي هو الآية أو بعضها أو الطائفة من الآيات المتوالية _ هو مناط العناية التي قد تتسع لتشمل السياق الكلي الأكبر ؛ الذي هو القرآن كله ، مرورا بسياقات وسيطة تتمثل في سورة كاملة أو في قطاع منها . وهنا نجد سؤالا ملحا متلازما : ما دور الأسلوب في أداء السياق ودلالته ؟

ولا يغني أحد التوجيهين السابقين عن الآخر ؛ فالسياق _ أيا كان نوعه _ لابد أنه واقع في دائرة موضوعية أكبر مستوعبة هذا السياق .

وما دمنا قد توصلنا إلى هذه النتيجة ، فإننا نجد أنفسنا بحاجة ماسة للإهابة بباين من أبواب علوم القرآن ، يمثلان _ من وجهة نظر التحليل الأسلوبي _ خلفية للنص ؛ وهما المكي والمدني ، وترتيب السور

هذا ومن المعروف أن القرآن الكريم لم ينزل على النبي – صلى الله عليه وسلم- دفعة واحدة ، وإنما نزل منجماً على مدى ثلاث وعشرين سنة تقريباً وقد بدأ نزوله بمكة المكرمة

واستمر نزوله بها ثلاثة عشر عاما حتى هجرة النبي – صلى الله عليه وسلم– إلى المدينة المنورة حيث استمر نزول القرآن بها عشر سنوات ، وكان الوحي قبل الهجرة وبعدها يواكب أحداث الحياة وتطوراتها ، وقد اقتضت حكمة التنزيل أن يكون الأسلوب مناسباً لظروف المجتمع الذي ينزل فيه سواء كان في المجتمع المكي أو المجتمع المدني ، ومن ثم كان للوحي طبيعتان متغايرتان لكل منهما أسلوبها وخصائصها، ومن هنا فإن معرفة المكي والمدني تسهم في التعرف على لون الخطاب ، وإدراك ما يهدف إليه ، ويشير إلى ذالك أحد الباحثين بقوله : " إن تلمس السمات الخاصة فيما نزل بمكة وما نزل في المدينة والوقوف على المميزات الرئيسية لكل ، إنما هو إدراك لمزايا الأداء القرآني بوجه عام، ومعرفة للكيفية التي كان عليها أسلوب الدعوة ، وما تلون به الخطاب حين وافق الأحوال والمقتضيات "[4]

وحول تحديد المكي والمدني ثارت خلافات وتعددت آراء يجملها الزركشي والسيوطي[5] في اصطلاحات ثلاثة هي :

أولها : أن المكي ما نزل بمكة والمدني ما نزل بالمدينة ويدخل في مكة ضواحيها كالمنزل بمنى وعرفات والحديبية وفي المدينة ضواحيها كالمنزل ببدر وأحد .

ثانيها : أن المكي ما نزل قبل الهجرة وإن كان بالمدينة ، والمدني ما نزل بعد الهجرة وإن كان بمكة .

ثالثها : أن المكي ما وقع خطاباً لأهل مكة، والمدني ما وقع خطاباً لأهل المدينة .

وبالنظر إلى هذه الآراء الثلاثة نجد أن الأول منها ينقصه عنصر الشمول، فهو وإن كان قد اعتمد على عنصر المكان إلا أنه لم يشمل جميع الأماكن التي نزل فيها الوحي ، كبيت المقدس مثلاً . وقد اعتمد الرأي الثالث على أسلوب الخطاب ، لكنه لا يشير إلى صيغة هذا

(1)قضايا في علوم القرآن تعين على فهم دلالات النص – د. السيد أحمد عبدالغفار – دار المعرفة الجامعية – 55

(2)- انظر: البرهان في علوم القرآن- الزركشي – دار الكتب العلمية – بيروت لبنان – 1988 – 239/1 ،

الإتقان في علوم القرآن – السيوطي – دارالندوة الجديدة – بيروت -1/ 9 .

الأسلوب ، فهو قول ينقصه التحديد . والرأي الثاني هو الرأي المشهور بين العلماء وهو الذي اعتمده الباحث خلال هذا البحث حيث يتخذ هذا الرأي وقت الهجرة فاصلاً بين ما هو مكي ، وما هو مدني ، ويدعم هذا الرأي أن الخطاب القرآني كان يأتي ملائماً لظروف المجتمع الذي ينزل فيه ، وقد كانت ظروف المجتمع المكي تختلف عن تلك الظروف التي كان عليها المجتمع المدني ، وفي تلك الظروف يأتي القرآن موافقاً لما عليه المجتمع في مكة أو في المدينة، ومعالجاً للمواقف والمشكلات ، ولكن يبقى أن نشير هنا إلى أن التمايز بين المنهجين المكي والمدني هو تمايز قائم على الأغلب والأعم فهما في نهاية الأمر يعالجان هدفاً واحداً وهو توطيد الدعوة الإسلامية واستكمالها ويشير الدكتور المطعني إلى وحدة القرآن الكريم وتناسق آياته وسوره فيقول: "على أنك تلاحظ آيات مكية منبثة بين آيات سور مدنية ، وبرغم ذلك لا يكاد يحس أحد التفاوت أو التفكك والانقطاع ، بل يروعك ما بين الجميع من خلال الوحدة وكمال الاتصال ، وجمال التناسق والانسجام ، مما جعل القرآن كله على طول سلسلة واحدة متصلة الحلقات ، أو عقداً رائعاً منتظم الحبات ،أو قانوناً رصيناً مترابط المبادئ والغايات ، وإن شئت فاعمد إلى أي سورة من سور القرآن ، وتنقل بفكرك بين آياتها، ثم ارجع البصر كرتين: كيف بدئت ؟ وكيف ختمت ؟ وكيف تقابلت أوضاعها وتعادلت ؟ وكيف تلاقت أركانها وتعانقت ؟ وكيف ازدوجت مقدماتها بنتائجها ووطء أولاها لأخرها؟"(6).

إن السور المدنية فمعظمها منصرف إلى التشريع ، والمطالبون به هم المسلمون ممن صحت عقيدتهم ، واطمأنت نفوسهم لمبادئ الدين وأركانه ، فليس ثمة احتياج إلى هذه الوجدانية التي أحاطت بآيات العقيدة. والتشريع أحكام محددة قد يتعرض تطبيقها لشئ من الاختلال إن لم تصغ في عبارات تقريرية حاسمة.

الحركة الموضعية

لقد كانت المنجزات البلاغية والنقدية فى المستوى التركيبى ذات قدرة فعالة على إعطاء الصياغة صبغتها الجمالية ، فقد أثبتت أن الإبداع لا يوجد إلا حيثما يوجد تفكير

(1) علوم القرآن : 52.

عميق فى الطبيعة التركيبية للغة ، وتمثل الحركة الموضعية للصياغة محورا من محاور الخلق اللغوى ، يعمل بشكل أساسى على تحطيم الإطار الثابت للأسلوب ، ولقوانين اللغة وقواعد الكلام .

ومع إقرارنا بأن الجملة العربية لا تتميز بحتمية فى ترتيب أجزائها ، يمكن أن نجد فيما تركه لنا النحاة بعض الرتب المحفوظة التى يمثل الخروج عليها نوعا من (الانتهاك) لما هو مألوف ، أو نوعا من الابتعاد النسبى عن القاعدة التى تضبط المعنى من خلال موضع اللفظة فى التركيب ، وكثيرا ما يكون المعنى محكوما بالصلة بين الكلمات ، وأهمية المعنى تأتى من أهمية موقع الكلمة. ويمكن أن تستكشف ملامح الحركة الموضوعية فى بعض المباحث التى أدارها القدماء نظريا وتطبيقيا فيما أطلقوا عليه (علم المعانى).

يمثل غياب بعض عناصر التراكيب لونا تعبيريا بارزا أفاد منه القدماء فى تحليل كثير من النماذج الأدبية لاستخلاص ما فيها من ألوان الجمال ، وكان مبحث الحذف وسيلتهم لابراز جمال النص الأدبى وهو ما نحاول أن نطبقه فى هذا المبحث . الحذف فن عظيم من فنون القول ، ومسلك دقيق في التعبير وتأدية المعاني ، وهو يقع في الأسماء والأفعال والحروف، وقد أشاد البلاغيون كثيراً بفن الحذف . وأفصحوا عن ملامحه الجمالية ومزاياه البلاغية، ومنهم العلامة عبد القاهر الجرجاني الذي يشير إلى دقة هذا الباب قائلاً : "هذا باب دقيق المسلك ، لطيف المأخذ ، عجيب الأمر شبيه السحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق ، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبن"[7].

وقد أجمع البلاغيون على أن الحذف لا يُصار إليه إلا إذا بقيت في الكلام قرينة تدل على المحذوف. حتى لا يصبح البيان ضرباً من التعمية والغموض ؛ لأن شرط جودة الأسلوب الوضوح وحسن الدلالة. من شروط المحذوف فى كلام البلاغة أنه متى أظهر صار الكلام إلى شئ غث لا يناسب ما كان عليه أولا من الطلاوة والحسن.[8]

1- عبد القادر الجرجاني : دلائل الإعجاز – مكتبة القاهرة – 1980 – 178 .

([8])المثل السائر : 2/ 220.

والمشهور أن الحذف مجاز ، وحكى إمام الحرمين فى " التلخيص" عن بعضهم أن الحذف ليس بمجاز ؛ إذ هو استعمال اللفظ فى غير موضعه ، والحذف ليس كذلك.[9] قال الشيخ عبد القاهر : " ما من اسم حذف فى الحالة التى ينبغى أن يحذف فيها إلا وحذفه أحسن من ذكره"[10]

ومن فوائد الحذف التفخيم والإعظام ؛ لما فيه من الابهام لذهاب الذهن فى كل مذهب ، وتشوقه إلى ما هو المراد فيرجع قاصرا عن إدراكه ، فعند ذلك يعظم شأنه ، ويعلو فى النفس مكانه ، ، ومنها زيادة لذة بسبب استنباط الذهن للمحذوف ، وكلما كان الشعور بالمحذوف أعسر ، كان الالتذاذ به أشد وأحسن.[11]

وشرط أن يحسن الحذف " أن تكون فى المذكور دلالة على المحذوف ؛ إما عن لفظه أو من سياقه ، وإلا لم يتمكن من معرفته ، فيصير اللفظ مُخلا بالفهم . ولئلا يصير الكلام لغزا فيهجن فى الفصاحة ، وهو معنى قولهم : لابد أن يكون فيما أبقى دليل على ما ألقى "[12] والحذف لا يكون إلا بدليل من بنية معهودة أو نمط معروف ، أو قرينة قائمة أو معنى فى السياق لا يستقيم إلا مع تقدير المحذوف. [13]

وإذا قلنا إن فى أسلوب القرآن حذفا فلسنا ننسب الحذف إلى مضمون القرآن ، وإنما ننسب إلى تركيب اللغة ، وذلك بأن اللغة تجعل للجملة العربية أنماطا تركيبية معينة ، ففى الجملة أركانها ومكملاتها ، وفى عناصرها ما يفتقر إلى غيره ، وما لا يستغنى المعنى من تقديره، فإذا لم تشمل الجمل على أحد أركانها أو ما يقتضيه المعنى أو يقتضيه التركيب من مكملاتها وعناصرها الأخرى، ثم اتضح المعنى بدون ذكر هذه العناصر لوجود الدليل على المحذوف عددنا ذك حذفا جئ به لطلب الخفة اختصارا أو اقتصارا أو تجنبا للحشو أو لسبب آخر غير ذلك . وكل عنصر من عناصر الجملة صلح لأن يحذف إذا قام الدليل عليه ، فأمكن تقديره

---

(9) البرهان : 3 / 117

(10) معترك الأقران 1/ 309.

(11)البرهان : 3 /119

(12)البرهان : 3/ 127 – مقدمة تفسير ابن النقيب 145

(13) البيان في روائع القرآن : 157.

فى الكلام . ولقد يحسن أحيانا أن يحذف الحرف أو الضمير أو الكلمة المفردة أو أحد أركان الجملة أو تكملاتها ، كما يحذف من الكلام ما يقتضيه المعنى ، وإن طال الكلام المحذوف.[14]

وتتبدى أبعاد العلاقة بين النداء والحذف فى أن الحذف ينطوى _ فى اعتقادنا _ بشكل ذاتى متضمن على تساؤلات ثلاثة تصاحب الأسلوب الندائى اللافت فى السياق؛ وهى :أين الحذف؟ وما المحذوف ؟ ولماذا حذف ؟

والحذف يعد أداة فنية تسهم فى خلق أبعاد دلالية خاصة بها ، وهو ما ينعكس على المتلقى؛ إذ يشرع الحذف فى تكوين حوار طرفاه النص الأدبى والمتلقى ، وهو حوار يتجلى فيه تواصل المتلقى مع النص فى أول مظاهره وأكثرها فاعلية. وقد فطن سيبويه إلى أثر الحذف على الدلالة ، وكيف ترتبط عملية الحذف بوصفه أداة فنية بالمبدع . وكيف تنعكس على المتلقى[15] وقد خلص الدكتور محمد أبو موسى إلى أن كل صور الحذف وراءها مزايا ثلاث ؛ الأولى : الاختصار أو الإجاز والثانية : صيانة الجملة من الثقل والترهل الذين يحدثان من ذكر ما تدل عليه القرينة ، والثالثة : إثارة الفكر والحس بالتعويل على النفس فى إدراك المعنى.[16]

حذف الحرف

قد ورد حذف الحروف في القرآن الكريم في مواضع متعددة ، ومن بين هذه الحروف، حذف حرف النداء "يا" فالمتتبع للنداء في القرآن الكريم يلحظ إيثار النظم القرآني لحرف النداء "يا" دون غيره ، ولعل ذلك يرجع إلى أن هذه الأداة تكون الوسيلة الطبيعية في النداء. إذ هي أكثرها استعمالاً عند الخاصة والعامة ، وهي أم الباب. كما أنها أخف أحرف النداء في النطق، حيث تبدو في خفة حركتها كأنها صوت واحد ، لانطلاق اللسان بمدها دون أن يستأنف

(14) البيان في روائع القرآن : 380، 381

(15) الكتاب : لسيبويه : 280/1 – دلائل الإعجاز : 170

(16)خصائص التراكيب : 161

عملاً ، أما الأربع الأخر – وهي الهمزة وأيا وهيا وأي– فإن كلا منها يبدأ بحرف من حروف الحلق. وهي أثقل الأصوات نطقاً.[17]

وقد ورد حذف حرف النداء "الياء" كثيراً في القرآن الكريم حيث التزم النظم القرآني بحذف أداة النداء "ياء" مع كلمة رب خاصة في كل موضع وردت فيه على هذا الوجه إلا في موضعين هما :الآية (30) من سورة الفرقان وهي قوله : (وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً) والآية (88) من سورة الزخرف،وهى قوله:(وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلاءِ قَوْمٌ لا يُؤْمِنُونَ) وقد علل الدكتور أحمد بدوي سبب حذف حرف النداء "ياء" مع "رب"، فهو يرى أن سر الحذف فيه للمبالغة في تصوير قرب المنادى "رب" حيث إن معناه : المربي والسيد والمالك. وهو بهذه المعاني من شأنه أن يكون قريباً حاضراً لا يحتاج في ندائه إلى وسائط، يقول:" ولا يكاد يستخدم حرف النداء مع الرب، بل يُنادى مجرداً من حرف النداء، ولعل في ذلك تعبيراً عن شعور الداعي بقربه من ربه"[18]، كما يضيف الدكتور عبد العظيم المطعني سبباً آخر إلى ما ذكره الدكتور بدوى حيث يقول :" إن هذه الكلمة "رب" أكثر استعمالاً من غيرها في الدعاء. فروعي فيها من جهات التخفيف ما يجعلها أطوع في الألسنة. وأسهل في مجاري الحديث".[19]

وأول ما يصادفنا من أنماط الحذف الواردة فى آيات النداء هو حذف الحرف المتمثل فى حذف حرف النداء قال الصفار : يجوز حذف حرف النداء من المنادى ، إلا إذا كان المنادى نكرة مقبلا عليها".[20]

ومن صور حذف أداة النداء فى آيات النداء التى ورد فيها المنادى " ربنا " ولم تأت آية واحدة فيها مسبوقة بأداة النداء " يا " والأمثلة على ذلك كثيرة ، كقوله تعالى : " وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ".[21]

1– د/ عبد العظيم المطعني : خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية – مكتبة وهبة – القاهرة – 1992 – 8/2 .

(1) د/ أحمد بدوي : من بلاغة القرآن – 196 .

(2) خصائص التعبير القرآني : 8/2 .

([20]) برهان الزركشي 251/3

([21]) سورة البقرة : 201

وقوله تعالى : " وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ، وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ۖ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ، رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ، رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ".[22]

أورد السياق هذه الآيات والتى تصور ابراهيم – عليه السلام – وهو فى موقف خاشع حيث يلهج لسانه بالدعاء وقد جاءت هذه الآيات معطوفة على قوله :"وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ ..." [23]

إذ اسم زمان ماضى منصوب على المفعولية لفعل محذوف شائع الحذف فى أمثاله ، وتقديره : واذكر إذ قال إبراهيم ، و " رب " منادى محذوف منه حرف النداء وأصله " ربى " وحذفت ياء المتكلم تخفيفا.

وافتتاح إبراهيم دعاءه بالنداء بقوله " رب " لما تتضمنه الربوبية من معانى العطف واللطف والاحسان إلى المربوب ، وهى معانى وثيقة الصلة بما ينادى الرب – سبحانه – لأجله وكذا إسقاط أداة النداء كما هو شأن أهل القرب عند ندائهم مربيهم المحسن إليهم .

هذه هى دعوة إبراهيم الأولى وهى أن يجعل هذا البلد آمنا فنعمة الأمن نعمة ماسة للإنسان وهى عظيمة التأثير على حياته.

حذف كلمة

وقد يكون المحذوف كلمة مفردة أيا كان موقعها من الإعراب فيستدل على حذفها إما بأصل التركيب كحين يحذف المبتدأ أو الخبر، وإما بوجود الحرف دون مدخوله فيقال إن المدخول محذوف ، وإما قرينة السياق ومعناه العام.[24]

([22])البقرة : 126: 129

([23])سورة البقرة : 125

([24])البيان في روائع القرآن :162.

والقول بحذف المفعول إنما يكون مع اختصاص الفعل بمفعول معين بحيث إذا ذكر الفعل دون مفعوله عرف المفعول ، ويكون هذا الاختصاص بسبب هذه الدلالة المعجمية للفعل أو من دلالة الجملة فى عمومها.[25] وفى هذه النمط الثانى للحذف فى آيات النداء تباينت المواقع التى احتلها الاسم المحذوف ، وفى هذا المجال من الحذف تنضاف الدلالة الذاتية لموقع الاسم المحذوف إلى ما يحدثه الحذف من دور دلالى وتأثير جمالى.

وأول ما يصادفنا فى هذا النمط حذف المبتدأ ، والحق أن أهمية الحذف هنا تنبع من أصالة الدور الذى ينهض به المبتدأ فى بناء التركيب ولأن المبتدأ – وهو المسند إليه – هو منطلق المتلقى فى تكوين معالم الدلالة الجزئية المستقاة من التركيب[26] ، وهو ما يلفت انتباه المتلقى لفتا قويا إلى وقوع الحذف ، ويستخلص المتلقى تكاملا دلاليا ثريا بين الدلالة والنداء من ناحية ، والمستقى من الحذف من ناحية أخرى.

نجد ذلك فى قوله تعالى :" قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ".[27] فقد حذف " المبتدأ " وتقديره : أنت بيدك الخير وقد جاء الحذف هنا للاختصار وعدم مانع الالتباس يوجد قرينة لفظية أو معنوية.[28] وكذا قوله تعالى : " إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ".[29] أى " هو ابن مريم".[30]

وثانى ما يصادفنا فى هذا النمط هو حذف الفاعل ، وينطوى العدول عن ذكر الفاعل إلى صيغة المبنى للمجهول على قيمة تأكيدية بارزة ؛ وهذه القيمة تقترن بما يجده المتلقى من " غموض " فى صيغة المبنى للمجهول بسبب غياب الفاعل ، مما يترك تأثيرا كبيرا على

([25])المصدر السابق : 167

([26])المصدر السابق

([27])سورة آل عمران : 26

([28])معترك الأقران :1/ 307

([29]) سورة آل عمران : 45

([30])التبيان في إعراب القرآن 1/ 360.

طبيعة توظيف هذا الفعل ؛ إذ إنه غموض حافز لطاقات المتلقى ومثير لها ، فالمتلقى لا يقنع بغياب الفاعل ذى المنزلة الأساسية فى الجملة الفعلية ، فيشرع فى البحث عما يصلح أن يسد هذا الفراغ الذى شغر باختفاء هذا العنصر الجوهرى فى الدلالة . وهو ما يضمن قدرا لا بأس به من التواصل مع الآيات والاجتهاد فى سير أغوارها ؛ وذلك لعدم كفاية المستوى الظاهر فى اشباع حاجات المتلقى.

ومثال ذلك فى آيات النداء كثير ، نذكر منه على سبيل المثال قوله تعالى : "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ "[31] . فقد حذف الفاعل وهو " واو الجماعة " فى " تَمُوتُنَّ " وآخر ما يصادفنا فى هذا النمط هو حذف المفعول به الذى يعد مجالا رحبا من المجالات التى تبلور الالتقاء بين أسلوب النداء وهذا المظهر من مظاهر العدول التركيبى. من أمثلة ذلك قوله تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ "[32]أى " صابروا أعداء الله فى الجهاد ، أى غالبوهم فى الصبر على شدائد الحرب لا تكونوا أقل صبرا منهم وثباتا".[33] وقوله تعالى : "يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" [34] "مفعول يبين حذف اختصارا أى : يبين لكم ما كنتم تخفون ،أو حذف اقتصارا واكتفاء بذكر التبيين مسندا إلى الفاعل دون أن يقصد تعلقه بمفعول".[35]

ومن أمثلة حذف المفعول قوله تعالى : " فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ".[36]

([31])سورة آل عمران : 102

([32])سورة آل عمران 200

([33])الكشاف : 1/ 449

([34])سورة المائدة :19

([35])البحر المحيط : 4/ 213

([36])سورة البقرة : 200

فمفعول آتنا الثانى محذوف ، تقديره : ما تريد أو : مطلوبنا ، أو ما أشبه.[37] فالمفعول به متروك ونزل الفعل بالقياس منزلة اللازم له إلى عموم الفعل للإشارة إلى همة مقصودة على طلب الدنيا.[38] والمراد من هذا الفريق الكفار فقد كانت عادتهم فى الجاهلية الدعاء بمصالح الدنيا إذ كانوا لا يعرفون الآخرة [39] ولذلك حذف المفعول الثانى لأن ما طلبوه لا يساوى شيئا عند الله تعالى فلم تكن عيونهم على آخرتهم وعلى صلاحهم حال طلبهم ودعاتهم ، ولعدم أهمية ما طلبوا ، سكت الله تعالى عن ذكره ، ويؤكد ذلك أن المولى سبحانه ذكر فى الآية التالية لها حكاية عن الفريق الثانى وهو فريق المؤمنين قائلا :" وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ".[40]

فذكر المفعول الثانى لـ (آتنا) وهو (حسنة) وجاء نكرة للإعلاء من قدرها ، فهى "وإن كانت نكرة فى الإثبات وهى لا تعم إلا أنها مطلقة فتنصرف إلى الكامل ، والحسنة الكاملة فى الدنيا ما يشمل جميع حسناتها وهو توفيق الخير".[41]

إن حيوية الصياغة تتبدى أمام أعيننا فى هاتين الآيتين ؛ فقد اجتمع فيهما ثنائية الذكر والحذف للمفعول به ، وكان الفعل فى كلتا الآيتين واحد وهو(آتنا) ، وكذلك الفاعل واحد ، وهو الله سبحانه وتعالى ، ولكن اختلف المفعول الأول فى كلتيهما ففى الأول كان الضمير (نا) يعود على الكافرين ، وفى الثانية كان الضمير (نا) يعود على المؤمنين، وحذف المفعول الثانى فى الآية الأولى وثبت فى الثانية إشارة إلى ذلك التفاوت الدلالى الذى تشهده الآيتان ، ولجذب انتباه المتلقى إزاء تلك النقطة التى يقدر فيها المتلقى المفعول المحذوف، وفى هذه النقطة ينضاف إلى الدلالة عمق كبير إذ يؤدى الحذف إلى تكثيف البنية الجمالية للنص.

ونختم حذف المفعول به بقوله تعالى : " وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن

(37)البحر المحيط : 309/2

(38)روح المعاني : 1/ 686

(39)التحرير والتنوير2 /248.

(40)سورة البقرة : 201

(41)روح المعاني : 1/ 486

كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ".[42] فلا يجوز فى (تعلم) أن تكون عرفانية ، فالمفعول الثانى محذوف ، أى كائنا وموجودا ، ويجوز فى (لا أعلم) أن تكون عرفانية ، إلا أن المقابلة تجعلها مثلها.[43]

والمراد تعلم معلومى الذى أخفيه فى قلبى فكيف بما أعلنه ، ولا أعلم معلومك الذى تخفيه .. وختمت الآية (إنك أنت علام الغيوب) تقرير لمضمون الجملتين منطوقا ومفهوما لما فيه من الحصر ، ومدلوله الإثبات فيقرر (تعلم ما فى نفسى) لأن ما انطوت عليه النفوس من جملة الغيوب ، ويلزمه النفى فيقرر لا أعلم ما فى نفسك لأن غيب أيضا ، مدلول النفى أنه لا يعلم الغيب غيره تعالى شأنه.[44]

والشواهد على حذف المفعول به فى آيات النداء كثيرة يدركها كل متأمل واع لها ، ويستطيع من خلالها المتلقى أن يستقى دلالات متعددة وخاصة عند التقائها المباشر مع أسلوب النداء فى الآيات وما تحدثه من تأثير جمالى فيها.

وقد يتسع نطاق الحذف ليبلغ حذف جملة كاملة ويكون الحذف في هذه الحالة ذو اتصال وثيق بعملية التلقي اذ يكاد تقدير الملتقي للمحذوف يرادف المعني الذي استقاه من الآية كلها في كثير من حالات هذا الكون من الحذف ويعد هذا الحذف (حذف الجملة او اكثر) مظهرا لحيوية الصياغة حيث يؤمن المذكور الي العناصر المحذوفة سواء اكانت جملة واحدة او اكثر من جملة محذوفة.

وقد كثر حذف الجملة في آيات النداء وتعددت ومنها قوله تعالى: "وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ".[45] فـ" إذ" اسم زمان منصوب بفعل محذوف تقديره :واذكر "إذ

(42) سورة المائدة : 116

(43) الجمل 1/ 155 – دراسات لأسلوب القرآن الكريم 9 / 533

(44)روح المعاني : 1/ 486

(45)سورة البقرة :260، راجع البيان في غريب إعراب القرآن : 172/1

قال ابراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى" وفي تقدير محذوف علي هذا النحو تمهيد لما تتضمنه الآية الكريمة من قص وقد يكون دور التقدير تركيز انتباه المتلقي على بعد من أبعاد الصورة الكلية في السياق عينه وسياق القص. ومن أمثلة هذا النمط أضا قوله تعالى :" يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا". [46]

ذكر الزركشي في البرهان أن "من شروط الحذف أن تكون في المذكور دلالة على المحذوف ، وتلك الدلالة مثالية أو حالية . فالمثالية قد تحصل من إعراب اللفظ ، وذلك كما إذا كان منصوبا ، فيعلم أنه لابد له من ناصب وإذا لم يكن ظاهراً لم يكن بد من أن يكون مقدرا ، ومنه قوله تعالى "واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام" والتقدير: "واحفظوا "الأرحام"[47] وكذا قوله تعالى " ... وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ "[48] أي "اغفر غفرانك ، أو نسألك غفرانك".[49]

أما الصورة الثانية التي تصادفنا في هذا النمط هي صورة حذف أكثر من جملة ، وقد لوحظ في آيات هذا النمط أن النداء يرد إبرازا للقطة بعينها من القص، تبلور "الذكر" إزاء المحذوف ومع الجمع بين الذكر والحذف تستبين للملتقي أحداث القصة ، ويعد هذا مظهرا لحيوية الصياغة حيث يومئ المذكور إلى عناصر كثيرة محذوفة ومن أمثلة ذلك قوله تعالى "فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ"[50] والتقدير: يبحث في التراب على غراب ميت ليواريه كيف يواري سوءه أخيه.[51] وهكذا يتضح لنا أن (الحذف) شكل ظاهرة أسلوبية مميزة في آيات الخطاب القرآني، فقد جاءت في غاية الجودة والحسن

([46])سورة النساء :1

([47])البرهان للزركشي : 127/3

([48]) سورة البقرة : 285

([49]) التبيان في إعراب القرآن : 1/ 538 – التحرير والتنوير : 134/3

([50]) سورة المائدة : 31

([51]) الحذف البلاغي في القرآن : 148

لتكشف عن جمالية النصوص القرآنية وإعجازها البلاغي لما حققته من معانٍ ودلالاتٍ جديدة وفق تعبير دقيق محدد بعينهِ.

الخلاصة

رصد الخواص التركيبة لصياغة جملة النداء يساعد على الوصول إلى الدلالة التي لا تبرز إلى حيز الإدراك العقلي إلا عندما تتلون الصياغة بإمكانات تعبيرية، وتحركات تركيبة تُعرف من (المقام) الذي يمثل أساس الدلالة ، وافتقاده يؤدي إلى ورود مفردات متناثرة لا تحكمها علاقة ما؛ لأنها لم ترتبط بمقام يربط بين عناصرها.

المتأمل في النظم القرآني يلحظ كثرة ورود الأساليب الإنشائية من أمر ونهي واستفهام مقترنة مع النداء القرآني وكثيراً ما يكون ورودها في النص الكريم مصحوبا بتحول دلالي تفارق فيه هذه الأساليب دلالتها الحرفية المباشرة إلى دلالات أُخر وهو ما يعرف في الدرس البلاغي القديم بفكرة الأغراض. وهذا التحول من الدلالة الحرفية المباشرة إلى الدلالة البلاغية ينطوي على قدرة لافتة تسهم في جذب انتباه المتلقي وبقاء تواصله مع النص في أكثر حالاته تجاوبا وتفاعلا.

يعد البلاغيون الحذف أحد مظاهر الإيجاز في القرآن الكريم، ويري الباحث أن الحذف القرآني لا ينتهي عند هذه الفضيلة المسماة بالإيجاز. بل له فضائل بيانية أخرى تكاد تتعدد بتعدد مواضع وروده ، فحرف النداء "ياء" قد ورد حذفه في كثير من آيات الخطاب بالنداء خاصة مع كلمة "رب" و"ربنا" ، ولوحظ في هذه النداءات أنما تميزت بطابع الدعاء والتضرع؛ لذا فقد ناسب أن تحذف أداة النداء فيها للمبالغة في تصور قرب المنادى، فالداعي الخاشع على حالة من الضعف والذلة كبيرة فيتمنى ألا يفصله عن ربه فاصل أو يحول بينه وبين مطلوبه حاجز حتى ولو كان حرف النداء "يا" فيأتي حذف حرف النداء هنا تعبيراً عن شعور

الداعي بقربه من ربه، كما أن الدعاء خطاب مقدم ، ومقام الخطاب مقام مشاهدة وحضور فلا تناسبه "يا " وغلبة استعمال كلمة " رب" في هذه النداءات يرجع إلى ما تتضمنه من معاني الإنعام والتفضل ، تلك المعاني التي تناسب حال الداعي الذي يستعطف ربه ويرجو استجابة دعائه. ولم يقتصر حذف أداة النداء في القرآن على كلمة "رب" فحسب ، بل جاء.

تتعدد أنماط الحذف في الخطاب القرآني بين حذف الكلمة وحذف جزء من الجملة وحذف جملة كاملة أو عدة جمل وتتبدى أبعاد العلاقة بين الخطاب والحذف فى أن الحذف ينطوى _ فى اعتقادنا _ بشكل ذاتى متضمن على تساؤلات ثلاثة تصاحب الأسلوب الندائى اللافت فى السياق ؛ وهى: أين الحذف ؟ وما المحذوف ؟ ولماذا حذف ؟ فالحذف أداة فنية تسهم فى خلق أبعاد دلالية خاصة بها ، وهو ما ينعكس على المتلقى ؛ إذ يشرع الحذف فى تكوين حوار طرفاه النص الأدبى والمتلقى ، وهو حوار يتجلى فيه تواصل المتلقى مع النص فى أول مظاهره وأكثرها فاعلية.

المراجع

الأندلسي, ابن عطية. المحرر الوجيز في تفسير الكتب العزيز – تحقيق المجلس العلمي بتارودانت. القاهرة: مكتبة ابن تيمية, 1992م.

الألوسي. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني تحقيق أبوعبد الرحمن فؤاد ابن سراج عبد الغفار. القاهرة: المكتبة التوفيقية.

ابادي, الفيروز. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز تحقيق عبدالعليم الطحاوي. بيروت: المكتبة العلمية.

إبراهيم, كمال عبد العزيز. أسلوب المقابلة فى القرآن الكريم — دراسة فنية بلاغية مقارنة –. رسالة ماجستير كلية الآداب, جامعة الزقازيق, 1985م.

أبو موسى, محمد محمد. البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية. القاهرة: مكتبة وهبة, 1988م.

أبو موسى, محمد محمد. دلالات التراكيب دراسة بلاغية. القاهرة: مكتبة وهبة, 2004م.

أبو موسى, محمد. خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني. القاهرة: مكتبة وهبة, 1980.

ابن عاشور, محمد الطاهر. التحرير والتنوير. تونس: دار سُحُنون للنشر والتوزيع.

البخاري. صحيح البخاري. القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية لجنة أخبار كتب السنة, 1990م.

البلخي, مقاتل بن سليمان. الأشباه والنظائر تحقيق د. عبد الله شحاتة. الهيئة المصرية العامة للكتاب,1994م.

البيضاوي. أنور التنزيل وأسرار التأويل. بيروت: دار الكتب العلمية, 2003م.

التركماني, ابن. بهجة الأريب في بيان ما في كتاب الله العزيز من الغريب– تحقيق مرزوق علي إبراهيم. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب, 2002م.

التوحيدي, أبو حيان. البحر المحيط – وبهامشه تفسير النهر الماد من البحر لأبي حيان ، كتاب الدر اللقيط من البحر المحيط للإمام تاج الدين الحنفي. – بيروت: دار الفكر, 1983م.

الجرجاني, عبد القاهر. دلائل الإعجاز تحقيق محمد خفاجي. القاهرة: مكتبة القاهرة, 1990م.

جزي, ابن. التسهيل لعلوم التنزيلز القاهرة: الدار العربية للكتاب.

حسان, تمام. البيان في روائع القرآن. القاهرة: عالم الكتب, 1993م.

خان, صديق حسن. فتح البيان في مقاصد القرآن. القاهرة: دار الفكر العربي.

دراز, صباح. الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية ف القرآن الكريم. القاهرة: مطبعة الأمانة, 1986م.

الرازي, فخرالدين. مفاتيح الغيب. بيروت: دار الفكر, 1985م.

الزركشي, بدر الدين. البرهان في علوم القرآن. بيروت: دار الكتب العلمية, 1988م.

الزمخشري. تفسير الكشاف منشورات محمد علي بيضون. بيروت: دار الكتب العلمية, 1995م.

السجاعي. حاشية السجاعي على القطر. القاهرة : دار إحياء الكتب العلمية عيسى الحلبي, 1349.

السيوطي, جلال الدين. الإتقان في علوم القرآن. – بيروت: دار الندوة الجديدة.

شحاتة, عبد الله. علوم القرآن. القاهرة: دار الاعتصام, 1985م.

شلبي, طارق. الاستفهام في القرآن الكريم, دراسة أسلوبية. رسالة دكتوراة, كلية الآداب جامعة عين شمس, 1997م.

الشوكاني. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير. بيروت: دار ابن حزم, 2000م.

الصابوني, محمد على. صفوة التفاسير. القاهرة: دار الصابوني.

الصاوي, أحمد. حاشية الصاوي على الجلالين. القاهرة: مطبعة دار إحياء الكتب العربية.

صديق, حسين بشير. التفسير التطبيقي "منهج علمي لدراسة النص القرآني". – الخرطوم: الدار السودانية للكتب,1995م.

الطبري. جامع البيان في تفسير القرآن. القاهرة: دار الحديث, 1987م.

العماوي, أبو السعود. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم. بيروت. دار الكتب العلمية, 1999م.

عمر, أحمد مختار. دراسات لغوية في القرآن الكريم وقراءاته. القاهرة: عالم الكتب, 2001م.

الغفار, السيد أحمد عبد. قضايا في علوم القرآن تعين على فهم دلالات النص. دار المعرفة الجامعية..

قطب, سيد. التصوير الفني في القرآن الكريم.

قطب, سيد. في ظلال القرآن. القاهرة: الطبعة السادسة عشر, 1990م.

القرطبي. الجامع لأحكام القرآن – تحقيق سالم مصطفي البدري. بيروت: دار الكتب العلمية.

قلقلية, عبده عبد العزيز. البلاغة الاصطلاحية. القاهرة: دار الفكر العربي, 1989م.

كثير, ابن. تفسير القرآن العظيم. – القاهرة: مكتبة الصفا, 2002م.

الكريم, بكري عبد. الزمن في القرآن الكريم، دراسة دلالية للأفعال الواردة فيه. القاهرة: دار الكتاب الحديث, 2001م.

مراد, محمد سمير. أساليب النداء في القرآن دراسة نصية. رسالة ماجستير, كلية الآداب جامعة عين شمس.

المطعني, عبد العظيم. خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية. القاهرة: مكتبة, 1992م.

النمر, عبد المنعم. علوم القرآن الكريم. القاهرة: دار الكتاب المصري, 1979م.

الواحدي, أبي الحسن علي بن أحمد. أسباب النزول دراسة وتحقيق الدكتور السيد الجميلي. دار الريان للتراث.